المؤتمر السنوي الثاني للعلوم الاجتماعية والسياسية
للمؤسسات البحثية المستقلة في المنطقة العربية

تحولات نسق النظام الدولي وتأثيره على الإقليم المغاربي:

حالة التنافس الجيوسياسي بين المغرب والجزائر

توفيق عبد الصادق

عن المؤتمر:

المؤتمر السنوي للعلوم الاجتماعية والسياسية للمؤسسات البحثية المستقلة في المنطقة العربية، هو مؤتمر يعقد كل عام من قبل بعض المنظمات والمؤسسات البحثية ليناقش أهم القضايا الدولية والإقليمية التي تؤثر على المنطق العربية.

منتدى البدائل العربي للدراسات (AFA):

مؤسسة بحثية عربية مستقلة، تعمل كمنصة لتفاعل الخبراء والباحثين لإنتاج معرفة وخطاب بديل في منطقتنا. تساهم في فتح مساحات وخلق خطاب وطرح رؤى وسياسات بديلة في المنطقة العربية لمختلف الفاعلين في المجال العام. وذلك لتجسير الفجوة بين منظمات المجتمع المدني والأكاديميين والنخب السياسية المختلفة. للمساهمة في الوصول لمجتمع يعتمد العلم مرجعيةً في المجالات الاجتماعية المختلفة كطريق للعدالة والديمقراطية والتحرر بشقهم السياسي والاقتصادي/ الاجتماعي، يحتفي بالتنوع الثقافي ويقوم على مبدأ المواطنة والمساواة. www.afalebanon.org

وفي هذا الإطار يقوم المنتدى بإنتاج علمي يساهم في تطوير المعرفة والوعي بأوضاع المنطقة العربية وقضاياها، طرح بدائل على مستوى السياسات والخطاب والكوادر وحتى المساحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للتعامل مع قضايا المنطقة ومشكلاتها، وسد الفجوة بين مكونات المجال العام من مجتمع مدني وأكاديميا وصنّاع قرار. وذلك من خلال إنتاج المعرفة وتمكين مختلف الفاعلين في المنطقة العربية من الاستفادة منها. وذلك عبر برنامجين تندرج تحتهما الموضوعات المختلفة ذات الصلة، البرنامج الأول حول التحولات السياسية والحركات الاجتماعية، والثاني عن العدالة الاجتماعية واللامساواة.

المرصد التونسي للانتقال الديمقراطي (OTTD):

هي مؤسسة بحثية في شكل جمعية علمية وغير ربحية بموجب القانون التونسي. وهي مكونة من أكاديميين وباحثين قرروا المساهمة في التحول الديمقراطي دون اتخاذ موقف سياسي بشأن القضايا الراهنة.

مركز دراسات الوحدة العربية:

تأسس مركز دراسات الوحدة العربية في العام 1975 في بيروت كمركز فكر وثقافة يهدف لتعميق الوعي العربي بقضايا الأمة العربية والتحديات التي تجابه الوحدة والنهوض. يُعد المركز من أفضل دور النشر العربية

مجلة قضايا سياسية:

هي مجلة علمية فصلية دولية مُحكّمة تعمل بنمط الوصول الحر (open access) تنشر باللغتين العربية والانكليزية في الموضوعات المتعلقة بالعلوم السياسية وتصدر عن جامعة النهرين.

منظمة دار الخبرة العراقية:

منظمة معنية بالدراسات البرلمانية وكتابة التوصيات في مجال السياسة العامة إلى المؤسسة التشريعية.

تحولات نسق النظام الدولي وتأثيره على الإقليم المغاربي:

حالة التنافس الجيوسياسي بين المغرب والجزائر

توفيق عبد الصادق

أستاذ باحث في كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية –السويسي، جامعة محمد الخامس بالرباط (المغرب)

منتدى البدائل العربي للدراسات (AFA) بالتعاون مع

مجلة قضايا سياسية ومنظمة دار الخبرة العراقية والمرصد التونسي للانتقال الديمقراطي ومركز دراسات الوحدة العربية.

كل الصور المستخدمة من مصادر مفتوحة على الإنترنت

هذا الإصدار لا يعبر عن رأيي كتابه/ كاتبه ولا يعبر بالضرورة عن رأي منتدى البدائل العربي أو أي من شركاءه.

مقدمة

تجري في العالم منذ سنوات تحولات دالّة، سواءً لتلك المرتبطة بالتوازنات وإعادة تموضع القوى الكبرى وبناء استراتيجيتها في رسم السياسة الدولية، أو لناحية القضايا والتحديات المحيطة بأمن الدولة الوطنية والحفاظ على مصالحها الخارجية. وقد كان لوقع الأزمة الصحية العالمية "كوفيد 19" خلال الثلاث سنوات الماضية واندلاع الحرب الروسية – الأوكرانية مطلع السنة الحالية 2022، التأثير الفارق في دخول دول العالم في حالة من اللايقين لمستقبل تطورات النظام العالمي وتحديد طبيعته، إذ أضحى هذا الأخير يتأرجح بين خط تعميق هيمنة القطب الواحد تحت قيادة الولايات المتحدة الأميركية، وآخر يدفع باتجاه نظام قطبي ثنائي أو على الأقل نظام متعدد المراكز والقوى تسعى إليه بكل قوة الصين وروسيا وإلى حد ما الهند والبرازيل.

تداعيات هذه التحولات وتأثيرها ظهرت في مستوى النظم الإقليمية واتجاه الدول الفاعلة نحو تقييم مكانتها وتحديد عناصر وفرص بناء قوتها، وفي هذا السياق يمكن تحليل وفهم العلاقة بين المغرب والجزائر الجارَين في الفضاء المغاربي ومنطقة شمال أفريقيا، والمنحى الذي أخذه التنافس الجيوسياسي ودخول الطرفين في مواجهة مفتوحة على جميع الأصعدة، خاصةً بعد قرار الجزائر قطع العلاقات الدبلوماسية مع الجار الغربي، المغرب في 24 آب/ أغسطس 2021، وما حدث قبلها من انخراط للمغرب رسميًّا في علاقات للتطبيع مع إسرائيل منذ 10 كانون الأول/ ديسمبر 2020، وظهور مؤشرات لدخوله في تحالف إقليمي إسرائيلي–عربي، بدأت تتشكل معالمه من خلال علاقات التطبيع والتنسيق المشترك بين إسرائيل ودول عربية أخرى (منتدى النقب)،[1] والذي يأتي بالتوازي أيضًا مع إعلان للرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب الاعتراف بسيادة المملكة على أراضي الصحراء، المتنازع عليها مع جبهة "البوليساريو POLISARIO" المدعومة من طرف الجزائر.[2]

العلاقة المغربية الجزائرية سلكت نهج التصادم والتنافس في الإقليم، برغم إدراك الطرفين أن هذا الخيار مكلف ويستزف القدرات وهو ضد تطلعات شعوب المنطقة (حوالي 102 مليون نسمة وفق أرقام عام 2019)، والتي ترى بأن الخلافات السياسية وتدخّل القوى الدولية، منع إمكانية استغلال الفرص المتاحة في الفضاء المغاربي من أجل الاندماج الإقليمي Regionalism، باعتباره صيغة لتكتل في المستوى الأدنى يضم خمسة من الدول المتجاورة جغرافيًّا وتنتمي إلى منطقة الشمال الأفريقي (المغرب–الجزائر–تونس–ليبيا– موريتانيا)، وبعد أن كانت تتمنى وفق معاهدة مراكش لعام 1989، المنشأة لاتحاد المغرب العربي، تحقيقَ الاندماج والتكامل اقتصاديًّا وتوحيدَ الجهود السياسية الخارجية، مع احتفاظ كل دولة بكامل استقلاليتها وشخصيتها القانونية الدولية، وتعهدها بالامتناع عن الانضمام إلى أي حلف أو تكتل عسكري أو سياسي، يكون موجهًا ضد الاستقلال السياسي أو الوحدة الترابية للدول الأعضاء الأخرى.[3]

موضوع الورقة البحثية يستهدف، **أولاً:** البحث في تطورات السياسة الدولية خلال السنوات الأخيرة وتفاعلات الدول الإقليمية المعنية–المغرب والجزائر–مع سياقات التحول والتغيير الذي مسّ عناصر بناء القوة بعودة سياسة القوة الصلبة في العلاقات

1- صدر بيان مشترك عن الاجتماع الافتتاحي للّجنة التوجيهية لمنتدى النقب في المنامة بالبحرين بتاريخ 27 حزيران/ يونيو 2022 جمع حكومات كلّ من الولايات المتحدة الأميركية والبحرين ومصر وإسرائيل والمغرب والإمارات العربية المتحدة. وقد تمثل الهدف الرئيسي للّجنة في زيادة تنسيق الجهود الجماعية وتعزيز الرؤية المشتركة لهذه الدول للمنطقة. وفي هذا السياق، تم تحديد وثيقة إطار عمل لمنتدى النقب وأهداف وأساليب عمل، كما تم الاتفاق على هيكل رباعي الأجزاء للمنتدى: الاجتماع الوزاري لوزراء الخارجية والرئاسة واللجنة التوجيهية ومجموعات العمل. وزارة الخارجية الأميركية-مكتب المتحدث باسم وزارة الخارجية. رابط الموقع: www.state.gov/translations/arabic/بيان-مشترك-للجنة-التوجيهية-لمنتدى-النقب

2- إلهام رشيدي، **العلاقات المغربية الجزائرية: سجال عبر التاريخ**، منشورات مجلة صدى (مركز مالكوم كير-كارنيغي للشرق الأوسط)، 03 ماي 2022. تاريخ الاطلاع 27 حزيران/ يونيو 2022. https://bit.ly/3yncAkd

3- أنظر: إعلان عن قيام اتحاد المغرب العربي يوم 17 شباط/ فبراير 1989 في مدينة مراكش المغربية، الموقع الالكتروني للاتحاد. تاريخ الاطلاع حزيران/01 يوليو 2022. http://www.umaghrebarabe.org

الدولية وبروز أزمات مهددة تهم مواضيع الأمن الصحي وتأمين سيادة البلدان في مجال الطاقة والغذاء. **ثانيًا:** دراسة خيارات كلّ من صانعي السياسة الخارجية في المغرب والجزائر للتعامل مع هذه التحولات الدولية، ومدى إمكانية تعزيز تحالفاتهم التقليدية أو بناء تحالفات جديدة في ظل المتغيرات الدولية الجارية.

تحاول الورقة الإجابة عن الإشكالية الآتية: **كيف يمكننا تفسير التحول الجذري في علاقة المغرب مع الجزائر باتجاه سياسة الصدام المفتوح، بعد أن كانت تتطلع وتطمح نحو الاندماج المغاربي؟**

وللإجابة على التساؤل لا بد من وضع مقاربة تعتمد على محددات العلاقات الدولية ومقاربتها النظرية لدينامية التعاون والصراع، إضافةً إلى متغير آخر أو مقاربة أخرى ألا وهي السياسة الداخلية كمدخل لفهم عناصر السياسة الخارجية وعملية صناعة القرار في (المغرب والجزائر).

كلمات مفتاحية: تحولات، النسق الدولي، النظام الإقليمي، المغرب، الجزائر.

الضبط المصطلحي وتحديد المفاهيم:

وقبل التطرق إلى مسألة التنافس الجيوسياسي بين المغرب والجزائر في المنطقة المغاربية لا بد من تحديد مفاهيمي وتعريف لعملية التحول في نسق النظام الدولي في حقل الدراسات الدولية:

- **عملية التحول في بنية نسق النظام الدولي:** تهم مختلف التغيرات التي تطرأ في الأوضاع والأبنية والتفاعلات على مستوى الدول من الناحية الكمية والكيفية، مع ما يرافقها من تغيير على مستوى القيم والتصورات بالنسبة للأفراد والجماعات في إطار فهمهم لهذا التحول.[4]
- **نسق النظام الدولي International Syestem:** مفهوم يركز أساسًا على طبيعة التفاعلات بين الوحدات الدولية في ما يخص عدد وتعدد القوى الدولية المركزية في النظام الدولي (نسق بنظام أحادي القطب، ثنائي القطبية، متعدد الأقطاب، نظام فيه توازن للقوى، نظام دولي لا قطبي...).[5]
- **النظام الإقليمي Regional Syestem:** نظام فرعي يتولد من الجوار والتّماس بين مجموعة من الفاعليين من الدول ضمن منطقة جغرافية معينة، وترتبط السياسة الإقليمية الخارجية ارتباطًا وثيقًا بنظرة الدول للبيئة المحيطة،[6] ويرى joseph bahout وآخرون في تقرير صادر عام 2018 بعد أحداث 2011، أن الفكرة الإقليمية Regionalization كتوجه وتكثيف للتفاعل لا تنطلق وفقط عبر تشكيل تحالفات جديدة أو تعزيز ما هو قديم منها، بقدر ما يجب أن تهتم كذلك باستعداد الاستقرار والأمن ضمن التفاعلات الداخلية، والتي يجب أن تسعى دول المنطقة إلى مواجهة تحديات مترابطة في مجال السياسات (الاقتصاد السياسي، الحكم الرشيد، التعليم، الهجرة والصراعات البينية).[7]

أولاً: معالم تحولات نسق النظام الدولي: التوجه نحو نظام دولي متعدد القوى

برزت في العقدين الأخيرين عديد الدراسات والتوجهات البحثية المهتمة بقراءة معالم التحول الجاري في بنية نسق النظام الدولي،[8] وبكيفية تفسير وتحليل الجوانب النظرية في حقل العلاقات الدولية،[9] وتأثيرات هذه التحولات على باقي البنى والتفاعلات من داخل النظم الإقليمية، وضمنها منطقة الإقليم المغاربي بشكل خاص ومنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بصفة عامة، إلا أنّ هذه

4-رباحي أمينة، **نحو نظرية اللاقطبية في النظام الدولي: مقاربة جديدة لدراسة التحول في النظام الدولي**، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، العدد الرابع- كانون الأول/ ديسمبر 2015.

5- وليد عبد الحي، **مشكلة إدارة العلاقات الدولية في النظام الدولي المعاصر**، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، تشرين الثاني/ نوفمبر 2022. آخر إطلاع 2022/11/14. https://bit.ly/3XjBJ9S

6- غراهام ايفانز وجيفري نوينهام، **قاموس بنغوين للعلاقات الدولية**، مركز الخليج للأبحاث، الامارات العربية المتحدة، طبعة عربية أولى، 2004، ص 645-648.

7-Joseph Bahout and Other, **Arab Horizons Pitfalls and Pathways to Renewal**, Carnegie Endowment for International Peace Publications Department, Washington, D.C, 2018.

8- للمزيد أنظر:

-هنري كيسنجر، **النظام العالمي تأملات حول حول طلائع الأمم ومسار التاريخ**، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 2015.

-ايمانويل وولرستين، **تحليل النظم الدولية**، ترجمة أكرم علي حمدان، مركز الجزيرة للدراسات-الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى 2015.

9- أنظر على سبيل المثال:

-تيم أدان، ميليا كوركي وستيف سميث، **نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع**، ترجمة ديما الخضرا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، يناير 2016.

-أحمد فؤاد أرسلان، نظرية الصراع الدولي دراسة في تطور الأسرة الدولية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989.

-سيد أحمد قوجيلي، **أفول النظريات الكبرى نقد الانتقائية التحليلية في العلاقات الدولية**، مجلة "سياسات عربية"، العدد 56 المجلد 10 أيار/ ماي 2022.

الدراسات لا يمكنها الجزم بالحالة المستقبلية للنظام الدولي، إذ لا يمكن أن نتنبأ بشكله إلا أنه يمكننا أن نطلق عليه أنه (نظام لا قطبي).

وبهذا الخصوص فقد رصد ريتشار هاس Richard Nathan. Haass في كتاب "عالم تعتريه الفوضى: السياسة الخارجية الأميركية وأزمة النظام القديم" سنة 2017.[10] أبرز ملامح هذه الفوضى في النظام الدولي لما بعد انهيار نسق النظام الثنائي القطبية، نتيجة سقوط الاتحاد السوفياتي وهيمنة الولايات المتحدة الأميركية منذ عام 1991 وحتى حدود الأزمة الاقتصادية العالمية لعام 2008، وحدد هذه المعالم (الملامح) بمجموعة من العناصر:

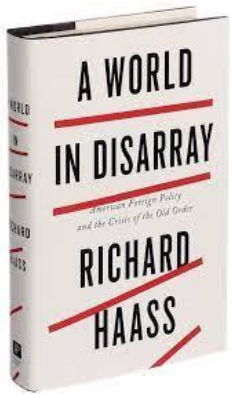

- عالم يخضع لقوى العولمة
- تزايد خريطة الانتشار النووي
- تصاعد الخطر الإرهابي
- تعدد التهديدات العابرة للحدود كالنزاعات المسلحة والأوبئة وأزمات الهجرة
- التحولات التكنولوجية السريعة التي عرفها المشهد الدولي في السنوات الأخيرة، خصوصًا خلال العقد الأخير، والتي أثرت على بنية النظام الدولي وتآكُل نسق النظام الأحادي القطبية.

يؤكد هاس أن العالم في هذه المرحلة يعيش في ظل تآكل نسق النظام الدولي الأحادي القطبية وتشكل نسق جديد تغيب فيه قوة دولية مركزية قادرة على ضبط التفاعلات الدولية وحل الإشكالات الدولية بمفردها مع ظهور قوى دولية أخرى وفاعلين دوليين خارج الدول، مشددًا مع ذلك على استمرار قيادة الولايات المتحدة الأميركية برغم تراجعها وتقلص الثقة بين حلفائها في مكانتها وقدرتها على الالتزام بحمايتهم.

تآكل نسق النظام الدولي للقرن الواحد والعشرين وفق هنري كيسنجير، (النظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ)،[11] يرجع كيسنجر الخلل الذي يعيشه النسق الدولي إلى أربعة عوامل أو عناصر رئيسية وهي:

- تزايد حجم الضغوط والتهديدات على الدولة كوحدة رسمية أساسية للحياة الدولية
- اللاتوازن في مسار التطور بين بنية النظام الاقتصادي الدولي المعولم، والتي شهدت هيمنة النظام الرأسمالي، وبين بنية النظام السياسي الدولي، التي ظلّت مرتكزة على مصلحة الدولة القومية وتضارب المصالح بين هذه الدول، أي أن هنالك خلل في بنية النسق السياسي، إذ لاحظ أنّ بنية النظام الاقتصادي الدولي شهدت تطورًا وتعاونًا على المستوى الدولي من خلال هيمنة النظام الرأسمالي وسيادة منطق العولمة، ولكن على المستوى السياسي هنالك خلل في النسق السياسي.

10- محمد عبد الله يونس، مجلة اتجاهات الأحداث، العدد 23 أيلول/ سبتمبر- تشرين الأول/ أكتوبر 2017، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، (أبو ظبي/ الامارات العربية المتحدة)، **قراءة في كتاب**:
Richard N. Haass, **A World in Disarray: American Foreign Policy and the Crisis of the Old Order**, Penguin Press New York, 2017.

11- هنري كيسينجر، مرجع سابق، ص 356-360.

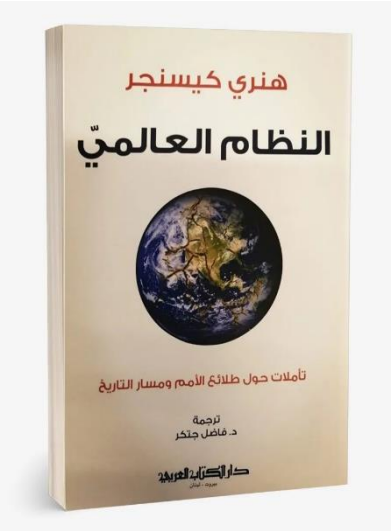

- غياب آلية فعّالة يتم في إطارها حل الأزمات والتشاور والتعاون بين القوى الكبرى بالرغم من وفرة المؤسسات والمنابر الدولية (أي لم تعد للمنظمات الدولية الفاعلية الكبيرة لحل الخلافات والأزمات الدولية)، وهنا يتم الإشارة إلى هامشية أدوار وفعالية منظمة الأمم المتحدة.
- عدم استيعاب النظام الدولي للتغيير الحاصل في علاقات القوة، نتيجة رفض الدول الكبرى التعديلية Revisionist States،[12] كالصين وروسيا والهند، للدور المخصص لها (أي رفض هذا النسق وعدم اعترافه بها كدول فاعلة وقوى تعديلية تبحث عن موقع جديد داخل هذا النسق)، وإصرار القوى الراسخة على استمرار تجاهلها برفضها تعديل صيغة النظام بما يسمح باستيعابها، وخير مثال على ذلك الحرب الروسية الأوكرانية مؤخرًا، إذ تبحث روسيا عن الدور الفاعل داخل هذا النسق ولم تعد تؤمن بهيمنة الولايات المتحدة الأميركية.

وفي دراسة حديثة لأستاذ العلاقات الدولية والدراسات المستقبلية الأردني وليد عبد الحي (مشكلة إدارة العلاقات الدولية في النظام الدولي المعاصر سنة 2022)، ومن خلال عملية قياسية لمؤشرات القوة في العلاقات الدولية للفترة الممتدة بين 2018–2021 والتي شملت كلًّا من أميركا والصين وروسيا، مستندًا إلى مؤشرات دولية عديدة، خلص إلى أنّ الاتجاه العام في العلاقات الدولية ينحو باتجاه نظام دولي متعدد الأقطاب وهو ما يسمح للفضاءات الدولية الإقليمية وللدول والمتوسطة والصغيرة مساحة أوسع للتحرك والفعل.[13]

ثانيًا: حالة المغرب والجزائر في الإقليم: تنافس على مركز القوة الأولى

اتسمت العلاقات بين المغرب والجزائر منذ استقلال البلدين وبناء الدولة الوطنية فيهما، بطابع يغلب عليه تاريخيًّا كثير من التوتر والحذر تجاه الآخر، بالرغم من ثقل الإرث النضالي المشترك إبّان فترة الاستعمار.[14] فإذا ما استثنينا السنوات القليلة التي تميّزت بعلاقات ودية وتعاونية في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي، والمتزامنة مع فترة حكم الرئيسين الجزائريين السابقين الشاذلي بن جديد ومحمد بوضياف وما شهدته هذه الحقبة من الاتفاق على تأسيس اتحاد المغرب العربي عام 1989. فإنها وعلى طول مراحل زمنية ظلّت علاقات عدائية، بل ووصلت إلى حد المواجهة العسكرية بينهما عام

12- دول تبحث عن فرص من أجل تغير ميزان القوى، للمزيد أنظر: -تيم أدان، ميليا كوركي وستيف سميث، مرجع سابق.
13- وليد عبد الحي، **مشكلة إدارة العلاقات الدولية في النظام الدولي المعاصر**، مرجع سابق.
14-حياة بوشقيف، **العلاقات الجزائرية المغربية خلال مرحلة النضال المشترك 1954-1956**، دورية كان التاريخية-السنة الرابعة عشرة-العدد الرابع والخمسون، ديسمبر 2021.

1963 (في ما بات يُعرف بحرب الرمال) وإغلاق للحدود البرية (منذ عام 1994 حتى اليوم) والدخول في قطيعة دبلوماسية كما سبق وأشرنا في 24 آب/ أغسطس 2021.

وقد أرجعت مختلف الدراسات والأبحاث التي تناولت العلاقة بين المغرب والجزائر واهتمت بتفكيك جذور الخلافات وحالة الصراع بين البلدين داخل الفضاء الإقليمي المغاربي، السبب الرئيسي إلى قضية منطقة الصحراء والنزاع المستمر حولها بين الأطراف (والذي أثر ويؤثر في مختلف التطورات والعلاقات بين المغرب والجزائر). فمن جهة، يسعى المغرب إلى تأكيد احترام وحدته الترابية، عبر طرح مقترح الحكم الذاتي في ظل السيادة المغربية (مبادرة الحكم الموسع في جهة الصحراء عام 2007)،[15] وفي الجهة المقابلة تدفع جبهة البوليساريو ومعها الجزائر كطرف مؤيد وداعم نحو انفصال المنطقة واستقلالها.[16]

نحن كذلك نذهب في هذه الورقة إلى تفسير وضع حالة التنافس والصراع بين المغرب والجزائر داخل الإقليم بتأكيد جوهرية عنصر قضية الصحراء، لكن ليس من زاوية نظر المعطيات التاريخية وشرعية القوانين الدولية ومحاولة كل طرف قراءة هذه المعطيات والقوانين وتوظيفها لصالحه، بل بمقاربة الموضوع من زاوية مداخل الجيوبوليتيك وأطر حقل العلاقات الدولية.[17] أي أن مركزية قضية الصحراء، تتجلى في كونها الأساس في تجسيد ثنائية بناء القوة أو تكريس قيمة الضعف بين القوتين الكبيرتين والمتنافستين، المغرب والجزائر، وذلك من أجل الريادة داخل الإقليم المغاربي بصفة خاصة والفضاء الجيوسياسي لشمال أفريقيا وجنوب البحر الأبيض المتوسط (فكل طرف يحاول أن يوظّف ويستغل عناصر القوة من أجل الهيمنة في الإقليم)، فالمغرب حين يتعاطى مع الجزائر ينطلق من كونه (المغرب) دولة مركزية وقوية في الإقليم وبالتالي فإن التنافس مع الجزائر وطروحاتها وتدخّلها في الصحراء يهدف إلى خنق المغرب. لذلك، فلا بدّ من فهم العلاقة بين الجزائر والمغرب من زاوية الجيوبوليتيك، فكل طرف يسعى إلى زيادة قوته وتوفير عناصر قوة تساعده على الهيمنة.

ضمن هذا السياق ووفق زاوية المقاربة، يتم وضع الاستراتيجية الخارجية وتوظيف عنصر قضية الصحراء في رهان كسب المواجهة بين المغرب والجزائر، وهي مواجهة أقرب إلى المنظور الصفري في العلاقات الدولية، فكل ربح لطرف هو خسارة للطرف الآخر،[18] فتكون المعادلة +1 للمغرب هو −1 للجزائر والعكس صحيح. وهنا نستحضر بعضًا من جوانب الربح والخسارة للمغرب والجزائر من قضية الصحراء.

15-المبادرة المغربية للحكم الذاتي الموسع في جهة الصحراء **(يُقصد بها المقترحُ المغربي المودع لدى الأمانة العامة للأمم المتحدة في شهر نيسان/ أبريل 2007)**، والرامي إلى التسوية النهائية للنزاع حول ملف الصحراء على أساس مبدأ رابح-رابح، حيث تحتفظ الدولة المغربية بالصلاحيات السيادية الرئيسية كالشؤون الخارجية والدفاع الوطني والشؤون الدينية، بينما تتمتع جهة الصحراء بصلاحيات واسعة تسمح للمواطنين المغاربة الصحراويين تدبير شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. علاوة على ذلك، سيتم إشراكهم في ملف السياسة الوطنية الداخلية والخارجية، وسيستفيدون من التضامن الوطني النشيط في مجال التنمية عندما يتّضح أن موارد الجهة غير كافية. تحظى الجهة على هذا النحو ببرلمان خاص بها وحكومة منتخبة ونظام عدالة يسهر على احترام القوانين والأعراف الصحراوية، ناهيك عن احترام وتنمية الثقافة الحسانية كما سيكون سكان هذه الجهة ممثلين في البرلمان الوطني.

16-Lucile Martin, **Le dossier du Sahara Occidental**, Revue les Cahiers de L'Orient N° 102, 2/2011, Centre d'études et de recherches sur le Proche-Orient, P 50-52.

17- جلال خشيب، **الجيوبوليتيك في القرن الحادي والعشرين: انتصار الجغرافيا وعودة عالم ثيوسيديد**، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 4 سنة 2021. https://bit.ly/3VxJV4U

18- وليد عبد الحي، **مشكلة إدارة العلاقات الدولية في النظام الدولي المعاصر**، مرجع سابق.

المغرب: الصحراء قضية مصيرية للوطن وللمكانة

منذ الاستقلال وتشكيل سلطة الحكم، بنى المغرب منطلقاته الأيديولوجية والدستورية إلى جانب سلوكه السياسي داخليًّا وخارجيًّا على ثلاث ركائز أو ثوابت (النظام الملكي، الدين الإسلامي، قضية الوحدة الترابية)، محددًا على ضوئها بقاء الدولة الحديثة وحفظ وحدة الوطن واستقلاله.[19]

مركزية قضية الصحراء في بناء العلاقات الخارجية للمغرب ورسم حدود التحالفات في المنطقة وعلى الساحة الدولية، والتي بدأت في السنوات الأخيرة تأخذ طابعًا جديًّا في التعامل مع الدول الأخرى، خاصةً منذ قرار المغرب العودة إلى منظمة الاتحاد الافريقي في كانون الثاني/ يناير 2017، من حيث لغة الخطاب الموجه للدول الصديقة والشريكة، وكذلك في صياغة مواقف المغرب من بعض القضايا والملفات الخارجية،[20] تكمن (أي مركزية قضية الصحراء) في اعتبار منطقة الصحراء من الناحية الجغرافية والجيواقتصادية من أهم شروط بناء عناصر القوة للدولة، فهي على حدود المغرب الجنوبية مع دولة موريتانيا ونقطة الارتباط البرية بعمق القارة الأفريقية وفضاء الشراكات الاقتصادية البينيّة، (خطاب الملك محمد السادس في مدينة أبيدجان عاصمة دولة الكوت ديفوار عام 2014، وحديثه عن أهمية العلاقات الاقتصادية بين المغرب ودول أفريقيا مستعرضًا مختلف الفرص والإمكانيات الاستثمارية والتنموية التي يجب استغلالها بين الجانبين).[21]

19- أنظر مضامين دستور 2011، خاصةً في التصدير والذي يُعتبر جزءًا لا يتجزأ من الدستور "المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، متشبثة بوحدتها الوطنية والترابية..." والفصل 175 "لا يمكن أن تتناول مراجعة الدستور الأحكام المتعلقة بالدين الإسلامي، وبالنظام الملكي للدولة، وبالاختيار الديمقراطي للأمة، وبالمكتسبات في مجال الحريات والحقوق الأساسية المنصوص عليها في هذا الدستور". https://bit.ly/3XB4EX6

20- أبرزها ورد في مقتطف من خطاب للملك محمد السادس بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب التاسعة والستين بتاريخ 20 آب/ أغسطس 2022 **"ننتظر من بعض الدول، من شركاء المغرب التقليديين والجدد، التي تتبنى مواقف غير واضحة، بخصوص مغربية الصحراء، أن توضح مواقفها، وتراجع مضمونها بشكل لا يقبل التأويل".** https://bit.ly/3U8A705

21-Amine Harstani Madani, **1999-2020 Le Maroc En Afrique Diplomatie-Secrété et Développement**، Policy Center For The New South، Rabat, 2020. https://bit.ly/3AJ0FhD

الجزائر: مسألة الصحراء ورقة للتوظيف

يحاجج قادة الجزائر في تدخلهم بملف قضية الصحراء، والتي تخيّم بانعكاساتها على العلاقات البينية بين البلدين–المغرب والجزائر– الأكثر قوة بين البلدان المغاربية الخمسة، بعدة اعتبارات أبرزها الدفاع عن مبدأ حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، وبأنهم وجدوا أنفسهم، بحكم الجوار الجغرافي، معنيّين بالنزاع بين المغرب وجبهة البوليساريو، مع تأكيدهم في مواقفهم الدبلوماسية الرسمية والعلنية أنهم لا يشكلون طرفًا، (كمثال واضح إعلان الرئيس الجزائري السابق الهواري بومدين في القمة العربية السابعة المنعقدة في الرباط عام 1974، أنّ بلاده ليست لها مطامع في الصحراء الغربية وبأن الجزائر مستعدة لدعم المغرب في استرجاع أراضيه).[22] لكن واقع الممارسة وتعقيدات وضع حل هذا النزاع المستمر منذ أكثر من أربعة عقود، ومعادلة التحالفات الإقليمية مع القوى الدولية يعاند هذه الرؤية.

هذا الأمر يجعل التدخل الجزائري في قضية الصحراء يندرج في إطار المنطلقات الجيوسياسية للنظام السياسي الحاكم وحرب التموضع للقوة الجزائرية "كدولة مركزية Core State" في الإقليم، ومحاولة استعمال واستغلال أي عنصر أو ورقة، تمكّنها من تعزيز عناصر قوّتها من جهة وإضعاف منافسها من جهة مقابلة.[23]

ثالثًا: تدبير التحالفات الدولية بين المغرب والجزائر: أي توجه مستقبلي؟

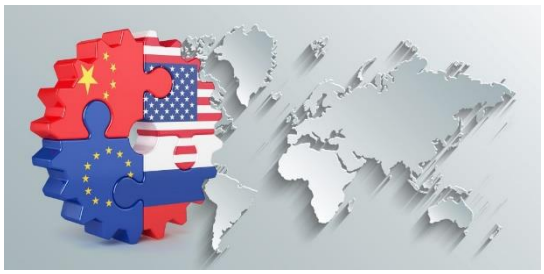

بعد سقوط المعسكر الاشتراكي وانفكاك بلدان العالم من ثنائية التقسيم الكبرى التقليدية في بناء التحالفات الخارجية، شهد كلّ من المغرب والجزائر تحولات ملحوظة في نهج سياستهما الخارجية ولكيفية تقييم والتعامل مع المتغيرات الدولية وتدبير التحالفات، لا سيما في السنوات الأخيرة مع بروز معطيات ومؤشرات، سواءً على المستوى الداخلي، إبان ما سمّي بحراك الربيع العربي في موجته الأولى أو الثانية، وما أسفرت عنه من مخرجات سياسية ودستورية بكل من المغرب عام 2011، وانتهاء عهد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في ظل الحراك الشعبي لعام 2019 ووصول الرئيس الحالي عبد المجيد تبون إلى كرسي الرئاسة، بعد سلسلة من الخطوات والترتيبات بين النخب السياسية والمؤسسة العسكرية. أو على المستوى الخارجي، حيث عرفت المنطقة والإقليم المغاربي حضور قوى دولية أخرى (الصين، تركيا، إسرائيل) واسترجع بعضها مكانته شيئًا ما (روسيا الاتحادية)، بعيدًا من هيمنة القوى التقليدية الغربية خاصة الولايات المتحدة وفرنسا، هذا إلى جانب تصاعد المحفزات التاريخية وسياسات الانعزال والممارسات العدوانية إقليميًّا ودوليًّا، وهو

22-Said Saddiki, **Border Walls in Regional Context The Case of Moroco and Algeria**. In Borders and Border Walls : In-Security, Symbolism, Vulnerabilities, edited by Elisabeth Vallet and Andreanne Bissonnette (New York : Routledge, 2020), P 111. https://bit.ly/3VrzoYJ

23- وليد عبد الحي، **العلاقات المغربية الجزائرية: العقدة الجيواستراتيجية**، مجلة سياسات عربية، العدد السادس، كانون الثاني/ يناير 2014، ص 31-32.

ما أفضى إلى تشكيل تحالفات سائلة أو هشة Alliance persistence غير مؤسسية، غالبًا ما تتعرض لضغوط محيطة وتقلبات أطرافها.[24]

وبذات المعنى، يمكننا قراءة التوجهات الجديدة لاستراتيجية التفاعل الخارجي للمغرب والجزائر، وبحثهما عن توسيع فضاء الشراكات وبناء التحالفات ومستقبلها. فالمغرب ينظر إلى علاقاته الخارجية من زاوية الاعتراف بالصحراء كجزء من المغرب وبما يعزز مكانته، باعتباره دولة مستقرة ومحورية في منطقة الشمال الأفريقي وجنوب المتوسط.[25] أما الجزائر، فمع تزايد الأهمية التي بات يعيش على وقعها موضوعُ الطاقة كمتغير فعال في العلاقات الدولية، فترى بأن الوضع الدولي الراهن مع اضطراب السوق الدولية وحاجة الدول الأوربية للغاز على خلفية الصراع الروسي–الغربي، يسمح لها بالتموقع أفضل داخل الإقليم كدولة طاقية رائدة.[26]

خلاصة

من خلال ما جاء في الورقة، وفي العلاقة بالإشكالية التي حاولنا الإجابة عنها بقدر ما، نرى أن تطوير العلاقة بين المغرب والجزائر وجعلها في صالح الطرفين، رهينة بتجاوز مسببات الخلاف الجوهري وهو قضية الصحراء، بالنظر إلى التحولات التي شهدتها مجريات بيئة السياسة الدولية ومتغيرات نسق بنية النظام الدولي، الموفرة لمساحة التحرك لباقي القوى الصغرى والمتوسطة، بشكل أكثر استقلالية بعيدة من الهيمنة.

يجب أيضًا على صانعي السياسة في الإقليم أن يتحلّوا بالواقعية، فالجزائر عليها أن تدرك بأن نماذج انفصال المناطق وتشكيل دول جديدة، لم يعد يلقى ترحيبًا وقبولاً من قِبل المجتمع الدولي (نموذج أكراد العراق– منطقة كاتالونيا في إسبانيا– شرق أوكرانيا...)، لأنه يدفع باتجاه تسعير الصراع وتعقيد الأزمات والخلافات من دون حلّها. أما المغرب، فعليه عدم رهن مصالحه الخارجية وبناء تحالفاته بالموقف من قضية الصحراء، لأنها تبقى معرّضة في حالات عديدة للتقلب والضغط وفق سياقات الأزمة ولعبة المصالح، وهذه إشارة إلى أنّ التحالفات الحالية والمستقبلية هي تحالفات سائلة وهشّة، وليست تحالفات صلبة يمكن أن نبني عليها سياستنا الخارجية ودوام المصلحة الجيواستراتيجية لكل دولة.

24- **مفاهيم المستقبل**، ملحق يصدر عن دورية اتجاهات الأحداث، العدد 24 تشرين الثاني/ نوفمبر- كانون الأول/ ديسمبر 2017، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي/ الإمارات العربية المتحدة.

25- مقتطف آخر من خطابٍ للملك محمد السادس باعتباره المسؤول الأول عن السياسة الخارجية بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب التاسعة والستون بتاريخ 20 آب/ أغسطس 2022، **" أوجّه رسالة واضحة للجميع: إن ملف الصحراء هو النظّارة التي ينظر بها المغرب إلى العالم، وهو المعيار الواضح والبسيط، الذي يقيس به صدق الصداقات، ونجاعة الشراكات. لذا، ننتظر من بعض الدول، من شركاء المغرب التقليديين والجدد، التي تتبنى مواقف غير واضحة، بخصوص مغربية الصحراء، أن توضح مواقفها، وتراجع مضمونها بشكل لا يقبل التأويل"**. https://bit.ly/3U8A705

26 - زيارة رئيس الوزراء الإيطالي في نيسان/ أبريل 2022 وتوقيع اتفاق مع شركة النفط الحكومية الجزائرية "سوناطراك"، لشراء غاز طبيعي يعادل 12% من إجمالي استهلاك إيطاليا. – زيارة الرئيس الفرنسي للجزائر أواخر شهر آب/ أغسطس عام 2022 والحديث عن هيمنة موضوع الطاقة على الزيارة. للمزيد، أنظر: نشأت شوامرة، **إفريقيا بديل الغاز الروسي إلى أوروبا**، 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 2022، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، آخر اطلاع بتاريخ 2022/11/25. https://bit.ly/3Vxn8Gh